

الباب الثالث

التعريف بالكتاب "روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن"

أ. المبحث الأول : لمحة عن الكتاب

اسم الكتاب هو روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن وهو أحد المؤلفات الذي كتبه "محمد علي الصابوني" الأستاذ المحاضر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في البلد الأمين، ويتكون هذا الكتاب من جزأين ظهرت الطبعة الأولى سنة 1391هـ والطبعة الثانية سنة 1397هـ والطبعة الثالثة سنة 1980م. وقد بلغ الجزء الأول 627 صفحة، والثاني 637 صفحة.¹

وقد طبع هذا التفسير طبقات كثيرة ووجد الباحث طبعتين، الطبعة الأولى والطبعة الثالثة، أما الطبعة الأولى فوجد الباحث طبعة جديدة منقحة مع تخريج الأحاديث الشريفة وهي دار الصابوني وهو يتكون من مجلدين سنة 1428هـ=2007م، كذلك الطبعة الثالثة على طبعة مكتبة الغزالي-مؤسسة مناهل العرفان وهي مثل السابقة في العدد سنة 1400هـ-1980م. ويقع هذا الكتاب نحو 928 (تسعة مائة وثمانية وعشرين صفحة) وهو في مثل الطبعتين السابقتين في **عدد المجلدات، ومن محتوياته:** هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المحاضرات وقد جاء الجزء الأول منه في أربعين محاضرة، وهذا تفصيل كتابه:

المجلد الأول يشتمل على: 1- سورة الفاتحة 2- موقف الشريعة من السحر 3- النسخ في القرآن 4- التوجه إلى الكعبة في الصلاة 5- السعي بين الصفا والمروة 6- كتمان العلم الشرعي 7- إباحة الطيبات وتحريم الخبائث 8- في القصاص حياة النفوس 9- فريضة الصيام على المسلمين 10- مشروعية القتال في الإسلام 11- إتمام الحج والعمرة 12- القتال في الأشهر الحرم 13- تحريم الخمر والميسر

¹أ.د. علي بن سليمان العبيد، تفسير آيات الأحكام ومناهجها، الرياض : دارالتدوير، (1431هـ)، ص. 571.

14- نكاح المشركات 15- اعتزال النساء في الحيض 16- يمين الطلاق 17- مشروعية الطلاق في الإسلام 18- أحكام الرضاع 19- عدة الوفاة 20- خطبة المرأة واستحقاقها المهر 21- الربا جريمة اجتماعية 22- النهي عن موالاة الكافرين 23- فريضة الحج في الإسلام 24- تعدد الزوجات في الإسلام 25- رعاية الإسلام أموال الأيتام 26- المحرمات من النساء 27- وسائل معالجة الشقاق بين الزوجين 28- حرمة الصلاة على السكران والجنب 29- جريمة القتل وجزاؤها 30- صلاة الخوف 31- ما يحل ويحرم من الأطعمة 32- أحكام الوضوء والتميم 33- حد السرقة وقطع الطريق 34- كفارة اليمين وتحريم الخمر والميسر 35- عمارة المسجد 36- منع المشركين دخول المسجد الحرام 37- حكم الإنفعال في الإسلام 38- الفرار من الزحف 39- كيفية قسمة الغنائم 40- التقرب إلى الله بالهدي والأضاحي.

كما جاء الجزء الثاني في ثلاثين محاضرة وهي كالآتي :

1- سورة النور 2- قذف المحصنات من الكبائر 3- اللعان بين الزوجين 4- في أعقاب حادثة الإفك 5- آداب الاستئذان والزيارة 6- آيات الحجاب والنظر 7- الترغيب في الزواج والتحذير من البغاء 8- الاستئذان في أوقات الخلوة 9- إباحة الأكل من بيوت الأقرباء 10- طاعة الوالدين 11- التبني في الجاهلية والإسلام 12- الإرث بقرابة الرحم 13- الطلاق قبل المساس 14- أحكام زواج النبي صلى الله عليه وسلم 15- من آداب الوليمة 16- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 17- حجاب المرأة المسلمة 18- حكم التماثيل والصور 19- موقف الشريعة من الخيل 20- الحرب في الإسلام 21- ترك العمل بعد الشروع 22- التثبت من الأخبار 23- حرمة مس المصحف 24-

الظهار وكفارته في الإسلام 25- نجوى الرسول 26- التزواج بين المسلمين والمشركين 27- صلاة الجمعة وأحكامها 28- أحكام الطلاق 29- عدة المطلقة 30- تلاوة القرآن.

هذا الكتاب فيه تفسير آيات الأحكام في القرآن من بداية سورة الفاتحة إلى سورة المزمل، حيث جمعا بين التأليف القديم من حيث غزارة المادة وخصب الفكرة، وبين التأليف الجديد من حيث العرض، والتنسيق، وسهولة الأسلوب. وتركيز تفسير خاص لآيات الأحكام وليس جميع الآية في السور تفاسيره، وهو يفسر تفسيره مناسبا بترتيب مصحف العثماني.

مقاصده من التفسير

حينما أقبل الشيخ محمد علي الصابوني على التفسير القرآن كانت له أهداف محددة ومقاصد واضحة سعى في تحقيقها من خلال التفسير.

ففي المقدمة كتب الشيخ محمد علي الصابوني جملة من الأهداف التي قصدها من التفسير، وهذه الأهداف هي:²

1. فإن خير ما يقدمه الإنسان من صالح الأعمال، وأفضل ما يسعى إليه المرء خدمة الكتاب العزيز، الذي جعل الله نوراً وضياءً للإنسانية.

2. وكانت أمنية كريمة وهي أن يسهل الله تعالى على خدمة الدين والعلم، فأخرج بعض الكتب التي ينتفع بها الناس، لاعتقادي بأن هذا من الباقيات الصالحات، التي تبقى للإنسان ذخرا بعد مماته.

² محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، القاهرة: دار الصابوني، (1428هـ)، ج. 1 ص. 7.

3. الإجابة على كثير من التساؤلات التي تتردد في هذا العصر، والإستفادة من العلوم العصرية،
وبيان موقف القرآن منها.

4. الإجابة على كثير من الشبهات والاعتراضات التي طرحها أعداء الإسلام والرد على مزاعم
بعض من شطّ به القلم من أعداء الإسلام، إذ اباح لنفسه أن يطعن في شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم لتعدد زوجاته.

مميزات هذا الكتاب

1- الجمع بين التأليف القديم من حيث غزارة المادة وخصب الفكرة والتأليف الجديد من حيث
العرض، والتنسيق، وسهولة الأسلوب.

2- تناول ما كتبه عن آيات الأحكام من عشرة وجوه:

أولاً: التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات الكريمة بشكل مقتضب.

ثالثاً: سبب النزول إن كان للآيات الكريمة سبب.

رابعاً: وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة.

خامساً: البحث عن وجوه القراءات المتواترة.

سادساً: البحث عن وجوه الإعراب بإيجاز.

سابعاً: لطائف التفسير وتشمل (الأسرار والنكات البلاغية والدقائق العلمية).

ثامناً: الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء، مع الترجيح بين الأدلة.

تاسعاً: ما ترشد إليه الآيات الكريمة بالاختصار.

عاشراً : خاتمة البحث وتشتمل (حكمة التشريع) لآيات الأحكام المذكورة.³

3- الاعتماد على المصادر القديمة مع الاستفادة من المؤلفات الحديثة كتفسير آيات الأحكام

للسايس ومن معه وفي ظلال القرآن لسيد قطب وكتابات أبي الأعلى المودودي.

4- امتاز بالصراحة والوضوح في تقرير الواقع الإسلامي في مفهوم آيات الأحكام ومن ذلك

كلامه عن الحجاب(154/2-158) حيث رجح أن المرأة كلها عورة.

5- الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام كتعدد الزوجات للنبي ﷺ ، أو التي

يثيرها بعض ضعفاء الإيمان من مسلمي هذا العصر حول الربا والفوائد الربوية.

6- عنايته بالنوازل العصرية المتعلقة بالآيات ومن أمثلة ذلك حديثه عن التصوير الفوتوغرافي عند

كلامه على قوله تعالى: (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) حيث يقول(416/2): "إن

التصوير الشمسي (الفوتوغرافي) لا يخرج عن كونه نوعاً من أنواع التصوير، فما يخرج بالآلة

يسمى (صورة)، والشخص الذي يحترف هذه الحرفة يسمى في اللغة والعرف (مصوراً) فهو

وإن كان لا يشمل النص الصريح، لأنه ليس تصويراً ، وليس فيه مضاهاة لخلق الله، إلا أنه لا

يخرج عن كونه ضرباً من ضروب التصوير، فينبغي أن يقتصر في الإباحة على حد الضرورة".

7- يظهر من خلال ترجيحاته عدم التعصب لمذهب معين، وإنما يتبع ما ترجح له بالدليل.

8- لم يورد الأحكام الفقهية جافة من غير أن يدعو إلى تطبيقها في المجتمعات الإسلامية ،

وإزالة ما أصابها من ضعف أو إبعاد.

9- قل أن يتناول حكماً شرعياً إلا ويبين محاسنه ومزاياه.⁴

³ محمد علي الصابوني، المصادر السابق، ص. 9.

ب. المبحث الثاني : مصادر التفسير فيه

دراسة المصادر دراسة مهمة في البحث عن المنهج لأن المصادر لها دور هام في تكوين منهج المفسرين، لقد اعتمد الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره على طائفة كبيرة من المراجع الهامة الموثوقة وهي كالآتي:

1. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الكبير والمحدث الشهير أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو من أهل آمل طبرستان، وُلِدَ بِهَا سَنَةَ 224 م وتوفي سنة 310هـ.

ومن أمثلة ما نقله محمد علي الصابوني من أقواله:

1) قال محمد علي الصابوني في تفسير الآية (• بسم الله الرحمن الرحيم) قال ابن جرير الطبري: إن الله تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه أدّب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقدّم ذكر أسمائه الحسنی أمام جميع أفعاله، وجعل ذلك لجميع خلقه سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وسبيلاً يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فبه افتتح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: "بسم الله"، على من بطن من مراده الذي هو محذوف. فقول القائل: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم افتتح تالياً سورةً يُنبئ عن أنّ مراده بذلك: أقرأ بسم الله، وكذلك قوله "بسم الله" عند خوضه للقيام، أو عند قعوده، وسائر أفعاله يُنبئ

⁴ ما كتبه د. عبد الرحمن الشهري حول الكتاب في ملتقى أهل التفسير.

عن معنى مراده بقوله "بسم الله" وأنه أراد: أقوم بسم الله، وأقعد بسم الله، وكذلك سائر الأفعال.

2. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المسند المحقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، وُلِدَ في رجب سنة 849 م وتوفي سنة 911 هـ.

ومن أمثلة ما نقله محمد علي الصابوني من أقواله:

1) قال محمد علي الصابوني في تفسير الآية ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ قال السيوطي:

روى السيوطي في "الدر المنثور" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ "معاذ بن جبل" وبعض الصحابة سألوا نفرًا من أحبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم.

3. البحر المحيط هو لأثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحَيَّانِي، الشهير بأبي حَيَّان، المولود سنة 654م وتوفي سنة 745 هـ.

ومن أمثلة ما نقله محمد علي الصابوني من أقواله:

1) قال محمد علي الصابوني في تفسير الآية: (رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال أبو حَيَّان: بدأ أولاً بالوصف

بالربوبية، فإن كان الرب بمعنى السيد، أو بمعنى المالك، أو بمعنى المعبود، كان صفة فعل

⁵ سورة البقرة الآية 159.

تفسير القرآن الكريم هو من وسائل لتفهم ويبين المقصود ما في القرآن الكريم، واللون التفسير القرآن لا يمكن إبتعاده لكل من التفاسير. كما قال قريش شهاب أن التفسير ينقسم إلى ستة ألوان : 1). اللون الأدبي، 2). اللون الفلسفي، 3). اللون العلمي، 4). اللون الصوفي، 5). اللون الأدبي والاجتماعي، 6). اللون الفقهي.¹⁰ وقد تأثر المفسرون في تفسير القرآن بكل هذه الألوان على الخلفيات والميول من حيث تعمقهم في العلم من العلوم والبيئات والأماكن والأحوال حتى يكون له ألوان متعددة في تفسير القرآن.

إذا رأينا شخصية الشيخ محمد علي الصابوني أنه شيخ جليل وأحد علماء الإسلام المتميزين، كانت ومازالت جهوده العلمية ملموسة من خلال العديد من الطلاب الذين تخرجوا ودرسوا على يديه وأيضاً من خلال مؤلفاته الغنية والتي أثري بها المكتبة الإسلامية، كما كان له جهد واضح في تحقيق العديد من الكتب وإخراجها بشكل متكامل يخدم العلم، والإسلام على حد سواء.

ومن هذه الخلفيات قال الباحث أن الشيخ يميل إلى اللون الفقهي في تفسيره، حيث فسر القرآن من الناحية الفقهية، وحاول الشيخ أن يبين كيف يكون القرآن أعطى الجواب على كل مسألة في الحياة الاجتماعية التي تتعلق بآيات الأحكام في القرآن.

وكل مايتعلق بالفقه في تفسيره يفسره بظاهر معاني الآية ويتوسع فيه ولا يقلد مذهبا معيناً.

د. المبحث الرابع : منهج التفسير فيه

¹⁰ محمد قريش شهاب، القرآن في الأرض الواقع، بندوع : دار ميزان، (1992م) ص. 72.

تفسير روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن جاء وصفه على الغلاف بأنه: " تفسير خاص لآيات الأحكام مستمد من أوثق مصادر التفسير القديمة والحديثة بأسلوب مبتكر وطريقة جديدة مع عرض شامل لأدلة الفقهاء وبيان الحكمة التشريعية".

وضح الشيخ طريقته في التفسير بقوله: " جمعت فيه آيات الكريمة " آيات الأحكام خاصة " على شكل محاضرات علمية جامعة تجمع بين القديم في رصانته والحديث في سهولته، وسلكت في هذه المحاضرات طريقة ربما تكون جديدة ميسرة وهي أنني عمدت إلى التنظيم الدقيق مع التحري العميق فتناولت الآيات التي كتبت عنها من عشرة وجوه على الشكل الآتي:

أولاً: التحليل اللفظي مع الاستشهاد بأقوال المفسرين وعلماء اللغة.

ثانياً: المعنى الإجمالي للآيات الكريمة بشكل مقتضب.

ثالثاً: سبب النزول إن كان للآيات الكريمة سبب.

رابعاً: وجه الارتباط بين الآيات السابقة واللاحقة.

خامساً: البحث عن وجوه القراءات المتواترة.

سادساً: البحث عن وجوه الإعراب بإيجاز.

سابعاً: لطائف التفسير وتشمل " الأسرار والنكات البلاغية والدقائق العلمية".

ثامناً: الأحكام الشرعية وأدلة الفقهاء، مع الترجيح بين الأدلة.

تاسعاً: ما ترشد إليه الآيات الكريمة بالاختصار.

عاشراً: خاتمة البحث وتشمل (حكمة التشريع) لآيات الأحكام المذكورة.¹¹

¹¹ محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، القاهرة: دار الصابوني، ج. 1 ص. 9.

نأخذ أمثلة تطبيقية على هذا المنهج كما يلي:

• الطلاق قبل المساس:

وهذه مثل باقي كتابه، محاضرة ألقاها على طلبة كلية الشريعة في مكة المكرمة، وقد قدّم

الآية الكرّمة (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْفَعُوا لَهُنَّ مَّا فِيهِنَّ وَإِن لَّمْ يَكُن لَّهِنَّ مَالٌ فَادْفَعُوا لَهُنَّ مِمَّا رَزَقْتُمْ وَأَن تَتَّخِذُوا مِنْ نِّسَائِكُمُ الْكِبْرِيَاءَ كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ۚ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ﴾) ¹²

وتبدأ دراسته للآية بالتحليل اللفظي: يحلل ألفاظ الناس: نكحتم- المؤمنات تمسوهن، عدة، فمتعهن، وسرحوهن، سراحاً جميلاً.

(نكحتم) يطلق النكاح تارة ويراد به العقد، ويُطلق تارة ويراد به الوطء، والمراد به هنا العقد باتفاق العلماء بدليل قوله تعالى: "من قبل أن تمسوهن" وأصل النكاح في اللغة "الضم" و "الجمع" قال الشاعر: ضمنتُ إلى صدري معطر صدرها كما نكحت أمّ الغلاف صبيها.

قال القرطبي: النكاح حقيقته الوطء. وتسمية العقد نكاحاً لملاسته له من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسمية الخمر إثماً لأنها سبب في اقتراف الإثم، ولم يرد لفظ النكاح في القرآن إلا في معنى العقد لأنه في المعنى الوطء، ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ (الملازمة، المماسّة، والقربان، والتغشي، والإتيان).

¹² سورة الأحزاب الآية 49.

(المؤمنات): فيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يقع اختيار الأزواج على المؤمنات. قوله: المؤمنات

ليس قيداً ولا شرطاً بل هو لمراعاة الغالب من المؤمنين أنهم لا يتزوجون إلا بمؤمنات، وهذا مما إتفق

عليه الفقهاء ولو كان للقيد أو للشرط لكان حكم الكتابيات مختلفاً عن المؤمنات مع أن الحكم

واحد.¹³

(تَمَسُّهُنَّ) : المراد بالمس هنا (الجماع) بإجماع الفقهاء . وقد اشتهرت الكناية به وبلفظ

الملاسة والمماسّة ونحوها في لسان الشرع عن الجماع ، وهو كما أسلفنا من آداب القرآن لأن

القرآن العظيم يتحاشى ذكر الألفاظ الفاحشة فيكوني عنها مثل قوله تعالى : (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ

فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً) النساء : 43 وقوله تعالى : (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا) المجادلة : 3

وهكذا كنى عن الجماع باللمس أو المماسّة، ولو كان المراد في الآية حقيقة المسّ باليد وهي إلصاق

اليد بالجسم للزمت العدة فيما لو طلقها بعد أمسّها بيده من غير جماع ولا خلوة، ولم يقل بذلك

أحد من الفقهاء .

(عِدَّةٌ) : العدة في اللغة مأخوذة من العدّ لأن المرأة تعدّ الأيام التي تجلسها بعد طلاق

زوجها لها أو وفاته، وهي شرعاً : المدة التي تربص فيها المرأة لمعرفة براءة رحمها، أو للتعبد،

أوللتفجيع على وفاة الزوج.

(تَعْتَدُونَهَا) : أي تعدونها عليهن، أو تستوفون عددها عليهن..

¹³ محمد علي الصابوني، المصدر السابق ج 2. ص. 207.

(فَمَتَّعُوهُنَّ) : أي أعطوهم المتعة في الأصل ما يمتنع به من مالٍ أو ثياب ، وقد حدّدها

بعض الفقهاء بأنها (قميص وخمار وملحفة) والصحيح أن المتعة لا تختص بالكسوة بل هي في

لسان الشرع : كل ما يعطيه الزوج لمطلقاته ارضاءً لها وتخفيفاً من شدة وقع الطلاق عليها.

وبعد أن يشرح المفردات الواردة في الآية محلاً تلك المفردات، ذكرا الشواهد المشبته لما

ذهب إليه من الشروح، وقد يذكر بعضاً من المراجع التي اعتمدها في الشرح، يأتي على ذكر المعنى

الإجمالي للآية.

المعنى الإجمالي للآية السابقة:

يخاطب الله تعالى المؤمنين فيقول: يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتم

منهن، ثم طلقتموهن من قبل أن يقربوهن فليس لكم عليهن حق في العدة تستوفون عددها عليهن

لأنكم طلقتموهن قبل المساس، وهذا لا يستلزم احتباس المرأة في البيت، وجلوسها في العدة من أجل

صيانة نسبكم لأنكم لم تعاشرهن فليس هناك احتمال للحمل.

فالواجب عليكم أن تمتعوهن بدفع ماتطيب نفوسكم لهن، وتكرموهن بشيء من المال أو

الكسوة تطيباً لحاظرهن، وتخفيفاً لشد الطلاق عليهن، وأن تفارقوهن بالمعروف فلا تؤذوهن بقول أو

عمل. فلا تحرموهن مما وجب لهن عليكم من حقوق. فإن ذلك مما يقتضي إيمانكم وطاعتكم لله.

والله أعلم.

يربط بين الآية والآيات السابقة:

كان الحديث في الآيات السابقة عن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وما ينبغي أن يكنّ

عليه من طاعة الله ورسوله، وزهد في الدنيا وطهارة، وكمال لأنهن لسن كبقية النساء، والله تبارك

الفقهاء: إن الآية ترشد إلى أن الأصل في الطلاق الخطر. وأنه لا يباح إلا إذا فسدت الحياة الزوجية، ولم تفلح وسائل الإصلاح بين الزوجين. والحكم واحد: لا يختلف فيمن تزوج ثم طلقها على الفور، أو طلقها على التراخي.

اللطيفة الثالثة: "من قبل أن تمسوهن" كنى بالماس عن الجماع وهذا كما أسلفنا أدب من آداب القرآن، ينبغي على المسلم أن يتأدب به فيكني عن كل شيء قبيح أو فاحش، وما أجمل أدب الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال للمرأة المطلقة المبتوتة التي جاءت تستأذنه في العودة إلى زوجها الأول: "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعه؟ حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك؟"¹⁶

اللطيفة الرابعة: قوله تعالى: "فما لكم عليهن من عدة" في إسناد العدة إلى الرجال إشارة لـ أنها حق للمطلق، فوجوب العدة على المرأة من أجل الحفاظ على نسب الإنسان فإن الرجل يغار عن ولده، ويهمه ألا يسقى زرعه بماء غيره، ولكنها على المشهور ليست حقاً خالصاً للعبد بل بها حق الشارع أيضاً، فإن منع الفساد باختلاط الأنساب من حق الشارع والصحيح أن وجوب العدة فيها (حق الله وحق العبد) ولهذا قال الفقهاء: العدة تجب لحكم عديدة: لمعرفة براءة الرحم وللتعبد، أو التفجع) فتدبره.¹⁷

وجوه القراءات.

قلنا في منهج المؤلف سابقاً إنه قد يذكر وجوهاً للقراءات وردة في قراءة الآية الكريمة إن كانت هناك قراءات، وفي هذه الآية:

¹⁶ محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج.2 ص. 209.

¹⁷ محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج.2 ص. 209.

1. قرأ الجمهور "من قبل أن تمسوهن" أي تقربوهن، وقرأ حمزة والكسائي "من قبل أن

تمسوهن" بزيادة ألف والمعنى واحد.

2. قرأ الجمهور "من عدة تعتدونها" بتشديد الدال من العد أي تستوفون عددها. من

قولك: عدّ الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها.

وقرأ ابن كثير وغيره بتخفيف الدال (تعدونها) قال الزمخشري: أي تعتدونها فيها كقوله:

ويوما شهدناه. والمراد بالاعتداء ما في قوله تعالى: "ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا". قال أبو

حيان: المعنى تعتدون عليهن فيها فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى ضمير العدة

كقوله: يوما شهدناه سليماً وعامراً أي شهدنا فيه.

وجوه الإعراب.

أولاً قوله تعالى: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا)

(ما) نافية حجازية تعمل عمل ليس.¹⁸

(لكم) جار ومجرور خبر مقدم.

ومن صلة¹⁹ تأدبا و(عدة): اسم ليس (مؤخر) مجرور لفظاً مرفوع محلاً. قال ابن مالك:

وزيد في نفي وشبهه فجرّ نكرة كما لباغٍ من مفر.

والمعنى ليس لكم عليهن عدة توجب ثما عليهن.

ثانياً: قوله تعالى: (وَسَرَّحْنَهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً).

¹⁸ هناك ما : التميمية، نافية فقط. (لاتعمل عمل ليس). مثل : وما محمد إلا رسول.

¹⁹ اللغويون : يقولون زائدة. وأهل التفسير تأدباً مع القرآن يقولون: صلة.

(سراحاً) مفعول مطلق.

(جَمِلاً) صفة منصوب.

الأحكام الشرعية.

أجمع العلماء على أن الطلاق لا يقع قبل النكاح استدلالاً بقوله تعالى: (إِذَا نَكَحْتُمُ

الْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ) فقد رتب الطلاق على النكاح وعطفه (بثم) التي تفيد الترتيب مع

التراخي، واستدلالاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا طلاق قبل النكاح » واختلفوا فيمن علق

الطلاق مثل قوله : (إن تزوجت فلانة فهي طالق)، أو قوله : (كل امرأة أتزوجها فهي طالق)

على مذهبين :

أ- مذهب الشافعي وأحمد : أنه لا يقع الطلاق وهو مروي عن (ابن عباس) رضي الله عنهما .

ب- مذهب أبي حنيفة ومالك : أنه يقع الطلاق بعد عقد الزواج وهو مروي عن (ابن مسعود)

رضي الله عنه .

أدلة الشافعية والحنابلة : قال: التعليق مثل التنجيز طلاق قبل النكاح، وإذا طلق

الإنسان امرأة ، لا يملكها لا يقع الطلاق لأن الطلاق لا بد أن يعتمد على الملك. وهذا مذهب

الجمهور...

أدلة المالكية والحنفية : واستدل الحنفية والمالكية بأن الطلاق يعتمد على الملك، أو الإضافة

إلى الملك ، لكنه في حالة الإضافة إلى الملك يبقى معلقاً حتى يحصل شرطه، فإذا قال للأجنبية (إن

تزوجتك فأنت طالق) كان هذا تعليقاً صحيحاً، ولا يقع الطلاق به الآن إنما يقع بعد أن يتزوجها

، فهو مثل قوله : (إن دخلتِ الدار فأنت طالق) لا يقع الطلاق إلا بعد الدخول، فكذا هنا لا يقع الطلاق إلا بعد أن يعقد عقد الزواج عليها، فيكون الطلاق واقعاً في الملك بالضرورة فكأنه أوقعه عليها حينذاك، وقالوا: الفرق واضح بين تنجيز الطلاق على الأجنبية وبين تعليق طلاقها على النكاح فإن قول الرجل لامرأة أجنبية (هي طالق) كلام لغو، لأنها ليست زوجته وقد طلق ما لم يملك فهو طلاق قبل النكاح لا يقع أصلاً. أما قوله: (إن تزوجت فلانة فهي طالق) فهو معلق على الملك والفرق واضح بينهما.²⁰

الحكم الثاني : هل الخلوة الصحيحة توجب العدة والمهر؟

ظاهر الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى: (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ) الذي هو كناية عن الجماع أَنَّ الخلوة ولو كانت صحيحة لا توجب ما يوجب الجماع من العدة والمهر ، وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، ودليله : أن الله سبحانه وتعالى نفى وجوب العدة إذا طلقت قبل الجماع ، والخلوة ليست جماعاً فلا يجب بها العدة ولا المهر.

أ- واستدلوا بما رواه الدارقطني عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب الصَّدَاق دخل بها أو لم يدخل » .

ب- وروي عن عمر أنه قال : (إذا أغلق باباً وأرخت ستراً ورأى عورة فقد وجب الصَّدَاق وعليها العدة ولها الميراث)

ج- وروي عن زُرارة بن أبي أوفى أنه قال : (قضى الخلفاء الراشدون المهديون أنه إذا أرخت الستور ، وأغلق الباب ، فلها الصَّدَاق كاملاً وعليها العدة دخل بها أو لم يدخل) .

²⁰ محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج.2، ص211

يقول الصابوني: أن أدلة الجمهور أقوى، وحجتهم أظهر، إذ يحتمل أن يبقى الرجل مع زوجته عاماً كاملاً ، يبيت معها في فراش واحد، ولكنه لم يجامعها طيلة هذه المدة فلا بد أن نوجب عليه دفع المهر كاملاً، ونلزمها بالعدة وذلك اعتباراً بالخلوّة الصحيحة ودفعاً للنزاع والخلاف.²¹

الحكم الثالث : ما هو حكم المطلقة رجعيّاً هل تستأنف العدة إذا راجعها زوجها ثم طلقها قبل المساس؟

اختلف الفقهاء في المرأة المطلقة رجعيّاً فيما إذا طلقها زوجها بعد المراجعة قبل أن يمسه على أقوال :

- أ- مذهب الظاهرية : أنه لا عدة عليها جديدة والعدة الأولى قد بطلت بالطلاق الثاني ، فلا يجب عليه أن تكمل العدة الأولى . (وهذا رأي ضعيف)
- ب- مذهب الشافعي : تبني على عدة الطلاق الأول وليس عليها أن تستأنف عدة جديدة .
- ح - مذهب مالك وأبي حنيفة : عليها أن تستأنف عدة جديدة ، قال القرطبي : وعلى هذا أكثر أهل العلم .

دليل الظاهرية: استدل داود الظاهري ومن قال بقوله أنّ المطلقة الرجعية إذا راجعها

زوجها قبل أن تنقضي عدتها ثم فارقها قبل أن يمسه ، أنه ليس عليه أن تتم عدتها ولا عدة مستقبلية ، لأنها مطلقة قبل الدخول بها أخذاً بظاهر الآية .

²¹ محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج.2، ص.212.

دليل الشافعي: استدل داود الظاهري ومن قال بقوله أنّ المطلقة الرجعية إذا راجعها

وجها قبل أن تنقضي عدتها ثم فارقها قبل مسّها ، أنه ليس عليها أن تتم عدتها ولا عدة مستقبلية ، لأنها مطلقة قبل الدخول بها أخذاً بظاهر الآية .

دليل المالكية والحنفية: قالوا إن عليها أن تستأنف عدةً جديدة ، لأن الطلاق الثاني

وإن كان لم يفصل بينه وبين الرجعة مسّ ولا خلوة ، لكنه لا يصدق عليه أنه قد حصل قبل

الدخول على الإطلاق ، إذا المفروض أن المرأة كان مدخولاً بها من قبل ، فيجب عليها أن تستأنف عدةً كاملة لأنها في حكم الموطوءة .

قال القرطبي : نقلاً عن الإمام مالك : إنها تنشئ عدةً مستقبلية ، وقد ظلم زوجها نفسه وأخطأ إن

كان ارتجعها ولا حاجة له بها ، وعلى هذا أكثر أهل العلم لأنها في حكم الزوجات المدخول بهنّ في

النفقة والسكنى وغير ذلك ، وهو قول جمهور فقهاء البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام.²²

ما ترشد إليه الآيات.

أولاً - على الإنسان أن يختار في الزواج المرأة المؤمنة الطاهرة .

ثانياً - الطلاق هدم للحياة الزوجية فلا يصح أن يقع إلا في الحالات الضرورية .

ثالثاً - لا تحب العدة بالإجماع إذا طلقت المرأة قبل الدخول بها .

رابعاً : على الزوج أن يجبر خاطر زوجته المطلقة بالمتعة .

خامساً - حرمة إيذاء المطلقة وتسريحها بالمعروف والإحسان .

²² محمد علي الصابوني، المصدر السابق، ج.2، ص. 213.

ويختم بحوثه بالحكمة من التشريع:

1. شرع الله تعالى الزواج لبقاء النوع الإنساني، وإباحة الطلاق ليخلص الإنسان من

شقاء محتم، ولا يقدم على الطلاق إلا بعد دراسة شاملة متأنية.

الحديث الشريف في تفسير آيات الأحكام:

كما أسلفنا ما من حكم شرعي صحيح بإمكانه الاستغناء عن الحديث الشريف،

فالحديث يقيد المطلق، ويخصص العام، ويفصل المجهول... الخ.

لذا كان اعتماد المؤلف على الأحاديث واضحاً وغزيراً.

اللغة في تفسير آيات الأحكام:

كانت اللغة الأدبية الجميلة سمة هامة، أكسبت الاطلاع على الأحكام الشرعية سمة اللين

والتشويق.. فأضحى القارئ بمطالعته أحكام بهذه اللغة جامعاً الفقه والأدب.. لذا فاءن القارئ

يجد نفسه مشدوداً، غير مألٍ من مطالعة الأحكام الفقهية على غير ما يمكن أن نراه بالمطوّلات

الفقهية القديمة... التي كانت تمتاز باللغة المضغوطة المحدودة.

كذلك فإن النكت البلاغية، والأمثلة الإعرابية جعلت الكتاب ذا فائدة جليّة في مختلف

العلوم الشرعية واللغوية والأدبية.

قال الباحث منهج الذي وضع الشيخ محمد علي الصابوني يعني بسّط الفكرة، وسهل

الأسلوب، ومهد الطريق لكل من يتعمق مستقبلاً في المطوّلات الفقيه، وزاد القارئ معلومات لغوية

وبلاغية.

استعان بأقوال الفقهاء محترماً لها، مرجحاً بعضها بأدب جم، لخص الفكرة الواسعة، مرجعاً القارئ إلى أدلتها ومكانها، مما جعل تفسيره لئنا مرناً سهلاً، وصار مرجعاً مقدماً لطلاب كليات الدراسات الإسلامية لأسلوبه العلمي المتقن.

هـ .المبحث الخامس : بعض أفكار الشيخ محمد علي الصابوني فيه

1) موقفه من النسخ في القرآن (نسخ التلاوة والحكم)

تفسير آيات الأحكام تحدث فيه عن أنواع النسخ الثلاثة، وضرب الأمثلة لكل نوع منها فقال: ينقسم النسخ إلى ثلاثة أقسام: 1) نسخ التلاوة والحكم معاً. 2) نسخ التلاوة مع بقاء الحكم. 3) نسخ الحكم وبقاء التلاوة. فنأخذ أمثلة من النوع الأول وهو (النسخ التلاوة والحكم معاً) فلا تجوز قرأته ولا العمل به، لأنه قد نسخ بكلية فهو كآية التحريم بعشر رضعات. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن) فنسخن بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يقرأ من القرآن.²³

2) موقفه من أسباب النزول

اهتم الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره بذكر سبب النزول إن كان للآيات الكريمة سبب النزول، وسطر ذلك في منهجه الذي وضعه في مقدمة تفسيره، وتظهر براعة الصابوني في هذا الفن أنه لم يكن يفسر الآيات حتى يضع القارئ على سبب النزول الآيات، ثم يفسر الآيات في ضوء أسباب النزول.

²³ أخرجه الإمام المسلم، صحيح مسلم، باب التحريم بخمس رضعات، حديث رقم 1452، ج 2 ص 1075.

والمثال على ذلك ما ذكره الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره عن مشروعية الطلاق في

الإسلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْعُوا شَاهِدَيْنِ مِنْكُمْ وَلَا تَعْزِمُوا عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْبَيْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تَعِيشُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ النِّسَاءَ إِذَا طَلَقْنَ مِنْهُمْ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَاذِينَ﴾

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْعُوا شَاهِدَيْنِ مِنْكُمْ وَلَا تَعْزِمُوا عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْبَيْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تَعِيشُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ النِّسَاءَ إِذَا طَلَقْنَ مِنْهُمْ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَاذِينَ﴾

ذكر في سبب نزولها: روي أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم

للطلاق عدد، وكان يطلق الرجل امرأته ماشاء من الطلاق، فإذا كادت تحل راجعها، فعمد رجل لامرأته

على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها: لا آويك ولا أدعك تحلين، قالت: وكيف؟ قال: أطلقك

فإذا دنا مضى عدتك راجعتك فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْعُوا شَاهِدَيْنِ مِنْكُمْ وَلَا تَعْزِمُوا عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْبَيْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تَعِيشُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ النِّسَاءَ إِذَا طَلَقْنَ مِنْهُمْ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَاذِينَ﴾

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْعُوا شَاهِدَيْنِ مِنْكُمْ وَلَا تَعْزِمُوا عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْبَيْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تَعِيشُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ النِّسَاءَ إِذَا طَلَقْنَ مِنْهُمْ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَاذِينَ﴾

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْعُوا شَاهِدَيْنِ مِنْكُمْ وَلَا تَعْزِمُوا عَلَى الْفَلَاحِ فِي الْبَيْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا تَعِيشُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا يُعَذِّبُونَ النِّسَاءَ إِذَا طَلَقْنَ مِنْهُمْ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ عَاذِينَ﴾

3) موقفه عن وجوه القراءات

الشيخ محمد علي الصابوني عالماً بالقراءات بشق ألوانها، المتواتر والشاذ، أن الشيخ محمد

علي الصابوني كان يرجع إليه في القراءات، وكان يعطي الدورات والدروس في هذا العلم، وكان له تلاميذ

كثير تعلموا القراءات على يديه.

وقد تقدّم أن الشيخ محمد علي الصابوني تتلمذ على ידי شيخ القراء (محمد نجيب خياطة)

وأخذ عنه التفسير والقراءات.

والمثال على ذلك مثل قوله تعالى: (ثَلَاثَةَ قُرْآنٍ) قرأ الجمهور: بالهمزة وقرأ نافع ثلاثة قُرْآنٍ بكسر

الواو وشدها من غير همز، وقرأ الحسن قرء بفتح القاف وسكون الراء. ويذكر أيضا في تفسيره: (إِلَّا أَنْ

²⁴ سورة البقرة الآية 229.

من النظرات الجارحة، والكلمات اللاذعة، والنفوس المريضة، والنوايا الخبيثة، التي يُكِنُّها الفسّاق من الرجال للنساء غير المحتشمات.²⁶

5) عدد آيات الأحكام عند الشيخ محمد علي الصابوني

اختلف في عددها على أقوال عدة، أهمها:

1. أكثر من 800 آية، وإلى ذلك ذهب ابن العربي المالكي.
2. حوالي 500 آية، وقال بذلك الغزالي وأصوليو الشافعية.
3. حوالي 200 آية، وقال بذلك الصنعاني.
4. حوالي 150 آية، وقال بذلك ابن القيم.²⁷

بعد أن قام الباحث بمطالعة تأليفات الشيخ محمد علي الصابوني لا توجد منها صراحة الكلام عند الشيخ علي الصابوني حول عدد آيات الأحكام في القرآن الكريم، ولكن بناء على ما فسره من الآيات في تفسيره يمكننا أن نستخلص منه أن عدد آيات الأحكام عنده حوالي 235 أية واتضحت هذه المعلومات في الجدول المذكور أدناه :

في الجزء الأول والثاني

²⁶ محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، القاهرة : دار الصابوني، ج.2 ص. 270.

²⁷ محمد سليمان الفراء، مقدمة في تفسير آيات الأحكام ومناهج المفسرين. الجامعة الإسلامية- غزة: دون السنة، ص 5.

رقم	السورة	الآية	الموضوع	جملة الآية
1	الفاتحة	7-1	الفاتحة	7
2	البقرة	103-101	موقف الشريعة من السحر	3
3	البقرة	108-106	النسخ في القرآن	3
4	البقرة	145-142	التوجه إلى الكعبة في الصلاة	4
5	البقرة	158	السعي بين الصفا والمروة	1
6	البقرة	160-159	كتمان العلم الشرعي	2
7	البقرة	173-172	إباحة الطيبات وتحريم الخبائث	2
8	البقرة	178	في القصاص حياة النفوس	1
9	البقرة	183	فريضة الصيام على المسلمين	1
10	البقرة	195-190	مضروعية القتال في الإسلام	5
11	البقرة	203-196	إتمام الحج والعمرة	8
12	البقرة	218-216	القتال في الشهر الحرام	3
13	البقرة	220-219	تحريم الخمر والميسر	2
14	البقرة	221	نكاح المشركات	1
15	البقرة	223-222	اعتزال النساء في الحيض	2
16	البقرة	225-224 -226) (227	يمين الطلاق	2
17	البقرة	231-228	مشروعية الطلاق في الإسلام	4
18	البقرة	223	أحكام الرضاع	1
19	البقرة	234	عدة الوفاة	1
20	البقرة	237-235	خطبة المرأة واستحقاقها المهر	3
21	البقرة	281-275	الربا جريمة اجتماعية	7
22	أل عمران	29	النهي عن موالاة الكافرين	1
23	أل عمران	97-96	فريضة الحج في الإسلام	2

24	النساء	4-1	تعدد الزوجات في الإسلام	4
25	النساء	10-5	رعاية الإسلام أموال الأيتام	6
26	النساء	24-19	المحرمات من النساء	6
27	النساء	36-34	وسائل معالجة الشقاق بين الزوجين	3
28	النساء	43	حرمة الصلاة على السكران والجنب	1
29	النساء	94-92	جريمة القتل وجزائها	3
30	النساء	107-101	صلاة الخوف	7
31	المائدة	4-1	مايجل ويحرم من الأطعمة	4
32	المائدة	6-5	أحكام الوضوء والتميم	2
33	المائدة	40-33	حد السرقة وقطع الطريق	8
34	المائدة	92-89	كفارة اليمين وتحريم الخمر والميسر	4
35	المائدة	18-17	عمارة المساجد	2
36	التوبة	29-28	منع المشركين دخول المسجد الحرام	2
37	الأنفال	4-2	حكم الأنفال في الإسلام	3
38	الأنفال	18-15	الفرار من الزحف	4
39	الأنفال	41	كيفية قسمة الغنائم	1
40	الحج	37-36	التقرب إلى الله بالهدي والأضاحي	2
41	النور	3-1	حد الزنى	3
42	النور	5-3	قذف المحصنات من الكبائر	2
43	النور	10-6	اللعان بين الزوجين	5
49	النور	26-23	في أعقاب حادثة الإفك	4
50	النور	30-27	آداب الاستئذان والزيارة	4
51	النور	31-30	آيات الحجاب والنظر	2
52	النور	34-32	الترغيب في الزواج والتحذير من البغاء	3
53	النور	59-58	الاستئذان في أوقات الخلوة	2

54	النور	61	إباحة الأكل من بيوت الأقرباء	1
55	لقمان	15-13	طاعة الوالدين	3
56	الأحزاب	5-1	التبني في الجاهلية والإسلام	5
57	الأحزاب	6	الإرث بقرابة الرحم	1
58	الأحزاب	49	الطلاق قبل المساس	1
59	الأحزاب	52-50	أحكام زواج النبي صلى الله عليه وسلم	3
60	الأحزاب	53-52	من آداب الوليمة	1
61	الأحزاب	58-56	الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	3
62	الأحزاب	59	حجاب المرأة المسلمة	1
63	السبأ	14-10	حكم التماثيل والصور	5
64	ص	44-41	موقف الشريعة من الحيل	4
65	محمد	6-4	الحرب في الإسلام	3
66	محمد	35-33	ترك العمل بعد الشروع	3
67	الحجرات	10-6	التثبت من الأخبار	5
68	الواقعة	87-75	حرمة مس المصحف	12
69	المجادلة	4-1	الظهار وكفارته في الإسلام	4
70	المجادلة	13-11	نجوى الرسول	3
71	المتحنة	13-10	التزواج بين المسلمين والمشركين	4
72	الجمعة	11-9	صلاة الجمعة وأحكامها	3
73	الطلاق	3-1	أحكام الطلاق	3
74	الطلاق	7-4	عدة المطلقة	4
75	المزمل	10-1	تلاوة القرآن	10

هكذا جدول آيات الأحكام في كتاب تفسير روائع البيان عن آيات الأحكام ولكن أن هذا الموضوع على سبيل العام دون التفصيل كما تضمنته الآيات. والله أعلم بالصواب.

6) المذهب الفقهي وتطبيقه

لم يتضح لدى الباحثين مذهب الشيخ محمد علي الصابوني في تفسيره روائع البيان وكذلك لا يوجد مؤلفاته الأخرى قيام الشيخ على مذهب معين. كان محمد علي الصابوني يتناول الآراء المذهبية وعرضها عند تفسير آيات الأحكام ووقف في إحدى المذاهب إذا كان يراها أرجح وأصلح لدلالة الآيات. ولكن يستطيع الباحث أن يقول أن الشيخ محمد علي الصابوني يميل إلى الحنفية وهذا اتضح من خلال كثرة وقوفه على آراء الإمام أبي حنيفة ومعظم ترجيحاته لتلك الأدلة الواردة في المذاهب تميل إلى آراء أبي حنيفة. وعلى سبيل المثال كما ذكر في مسألة ما هو السفر المباح للإفطار؟

قال الشيخ محمد علي الصابوني: أمور العبادة ينبغي فيها الاحتياط، ولما ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منع المرأة من السفر مسيرة ثلاثة أيام، وثبت يوم وليلة وكلاهما في الصحيح، لذا كان العمل بالثلاث أحوط، فلعل ما ذهب إليه أبو حنيفة يكون أرجح والله أعلم.²⁸

7) من مميزات تفسير روائع البيان تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني:

ومن خلال اطلاعه على تفسير "روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن" وقف على بعض المميزات، التي اعتمد عليها الشيخ جزاه الله خير الجزاء في الترجيح بين الأقوال والمذاهب الفقهية ، وتتلخص فيما يلي :

²⁸روائع البيان تفسير آيات الأحكام ج 1 ص 148.

أولاً : قوة الدليل :

ومن ذلك ترجيحه في مسألة : هل الإفطار للمريض والمسافر رخصة أم عزيمة ؟

ذكر مذهب أهل الظاهر وهو أنه عزيمة ، ومذهب الجمهور وهو أنه رخصة ، ثم ذكر أدلة الفريقين
ثم قال ما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح لقوة أدلتهم.²⁹

ثانياً : الموافقة لنصوص القرآن الكريم :

ذكر الأستاذ الشيخ محمد الصابوني الأقوال في السحر ، هل له حقيقة وتأثير في الواقع أو لا ؟
ثم قال : " ومن استعراض الأدلة نرى أن ما ذهب إليه الجمهور أقوى دليلاً ، فإن السحر له حقيقة
، وله تأثير على النفس ، فإن إلقاء البغضاء بين الزوجين ، والتفريق بين المرء وأهله الذي أثبتته القرآن
الكريم ليس إلا أثراً من آثار السحر ، ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شر
النفاثات في العقد ، ولكن كثيراً ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح شيطانية ، فنحن نقر بأن
له أثراً وضراً ، ولكن أثره وضرره لا يصل إلى الشخص إلا بإذن الله ، فهو سبب من الأسباب الظاهرة
، التي تتوقف على مشيئة مسبب الأسباب ، رب العالمين جل وعلا".³⁰

ثالثاً : الموافقة للسنة النبوية الشريفة :

²⁹روائع البيان ج 1 / حاشية ص 52
³⁰روائع البيان تفسير آيات الأحكام ج 1 ص 81 .

ذكر الشيخ الصابوني أقوال الفقهاء في : أين موضع ذبح الهدى بالنسبة للمحصر؟ فالجمهور يرون أن مكان ذبح المحصر هو مكان إحصاره ، وأبو حنيفة ذهب إلى أنه لا ينحر إلا في الحرم ، ثم قال : " والراجح رأى الجمهور اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أحصر بالحديبية ونحر بها وهي ليست من الحرم ، فدل على أن المحصر ينحر حيث يحل في حرم أو حل³¹ .

رابعاً : الأخذ بالأيسر الذى فيه توسعة على الناس .

خامساً : الاعتضاد بأقوال أهل اللغة .

تعرض الأستاذ الشيخ لبحث مسألة : هل الإحصار بالنسبة للمحصر يشمل المرض والعدو معاً أو خاص بالعدو فقط ؟ ، فقال : " ذهب الجمهور (مالك والشافعى وأحمد) إلى أن الإحصار لا يكون إلا بالعدو ، وذهب أبو حنيفة إلى أن الإحصار يكون من كل حابس يحبس الحاج عن البيت ، من عدو ، أو مرض ، أو خوف ، أو ذهاب نفقة ، أو ضلال راحلة ، أو موت محرم الزوجة في الطريق ، وغير ذلك من الأعذار المانعة ، وحجته ظاهر الآية : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) فإن الإحصار - كما يقول أهل اللغة - يكون بالمرض ، وأما الحصر (المنع والحبس) فيكون بالعدو ، فلما قال تعالى : (أُحْصِرْتُمْ) ولم يقل (حصرتم) دل على أنه أراد ما يعيم المرض والعدو ثم رجح الشيخ ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة فقال : "ولعل ما ذهب إليه الحنفية أرجح ، فهو الموافق لظاهر الآية الكريمة ، والموافق ليسر الإسلام وسماحته ، وقد اعتضد بأقوال أهل اللغة ، فإنهم جميعاً متفقون على أن (الإحصار)

³¹روائع البيان ج 1 ص 205 .

يكون بالمرض ، و (الحصر) يكون بالعدو ، والآية بظاهرها تميل إلى التيسير ، فإن المريض الذى

يشهد مرضه كيف يمكنه إتمام المناسك ؟

والشخص الذى تضل راحلته أو تضيع نقوده كيف يستطيع متابعة السفر ، مع أنه لم يملك

نفقة ولا زاداً ، وهل يكلفه الإسلام أن يستجدى من الناس؟³²

سادساً : الترجيح بناء على الأخذ بالأحوط :

ومن ذلك ترجيحه أن السفر المبيح للفطر ، هو مسيرة ثلاثة أيام بلياليها فقال : " أمور

العبادة ينبغي فيها الاحتياط ، ولما ثبت عنه ع منع المرأة من السفر مسيرة ثلاثة أيام ، وثبت يوم وليلة

، وكلاهما فى الصحيح ، لذا كان العمل بالثلاث أحوط ، فلعل ما ذهب إليه أبو حنيفة يكون

أرجح".³³

سابعاً : الترجيح بناء على الموافقة لما يرتضيه العقل الإسلامى الرشيد :

ذكر الشيخ الصابونى أقوال الفقهاء فى قتل الحر بالعبد ، ثم قال : " أقول : مذهب أبى حنيفة

فى قتل الحر بالعبد معقول المعنى ، مؤيد (من قتل عبده قتلناه) فالإسلام قد ساوى بين الأحرار والعبيد

فى الدماء ، فحرمة العبد كحرمة الحر ، ونفس العبد كنفس الحر ، ولهذا يقتل به.³⁴

وأيضاً ذكر الشيخ أقوال الفقهاء فى المرض والسفر المبيحان للإفطار ، ثم قال : " أقول : ما

ذهب إليه الجمهور هو الصحيح الذى يتقبله العقل بقبول حسن ، فإن الحكمة التى من أجلها

³² روايع البيان تفسير آيات الأحكام ج 1 ص 248 - 249 .

³³ روايع البيان ج 1 ص 205 .

³⁴ روايع البيان ج 1 ص 177 .

رخص للمريض في الإفطار ، هي إرادة اليسر ، ولا يراد اليسر إلا عند وجود المشقة ، فأى مشقة في وجع الإصبع ، أو الصداع الخفيف ، والمرض اليسير الذى لا كلفة معه في الصيام ، ثم إن من الأمراض ما لا يكون شفاؤه إلا بالصيام ، فكيف يباح الفطر لمن كان مرضه كذلك ؟ ولم يكلفنا الله جل وعلا إلا على حسب ما يكون في غالب الظن ، فيكفى أن يظهر أن الصوم يكون سبباً للمرض أو زيادة العلة ، أما الإطلاق فيه أو التضيق فأمر يتنافى مع إرادة اليسر بالملكفين.³⁵

ثامناً : الترجيح بناء على التوسط فى الجمع بين الأقوال .

استعرض الشيخ الصابوني أقوال الفقهاء في البسملة ، هل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة أو لا ؟ ؛ فذكر أقوال الفقهاء في ذلك ثم قال : " وبعد استعراض الأدلة وما استدلل به كل فريق من أئمة المذاهب نقول : لعل ما ذهب إليه الحنفية هو الأرجح من الأقوال.³⁶

فهو المذهب الوسط بين القولين المتعارضين ، فالشافعية يقولون : إنها آية من الفاتحة ومن أول كل سورة في القرآن ، والمالكية يقولون : ليست بآية من الفاتحة ولا من القرآن ، ولكل وجهة هو موليها ، ولكن إذا أمعنا النظر وجدنا أن كتابتها في المصحف ، وتواتر ذلك بدون نكير من أحد - مع العلم بأن الصحابة كانوا يجردون المصحف من كل ما ليس قرآناً - يدل على أنها قرآن ، لكن لا يدل على أنها آية من كل سورة ، أو آية من سورة الفاتحة بالذات ، وإنما هي آية من القرآن وردت للفصل بين السور ، وهذا ما أشار إليه حديث ابن عباس : " أن رسول الله كان لا يعرف فصل السور حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم .

³⁵ رواه البيان تفسير آيات الأحكام ج 1 ص 202 وما بعدها .

³⁶ رأى الحنفية أن كتابة البسملة في المصحف يدل على أنها قرآن ، ولكن لا يدل على أنها آية من كل سورة .

ويؤكد أنها ليست في أوائل السور أن القرآن نزل على مناهج العرب في الكلام ، والعرب كانت ترى التفنن من البلاغة ، لاسيما في افتتاحاتها ، فلو كانت آية من كل سورة لكان ابتداء كل سورة على منهاج واحد ، وهذا يخالف روعة البيان في إعجاز القرآن ".³⁷

³⁷ روائع البيان تفسير آيات الأحكام في القرآن ج 1 ص 52 وما بعدها .